

التكامل المعرفي في فهم الإنسان

عند الفيلسوف محمد إقبال

أنيسة زغدود

جامعة البويرة

ملخص البحث:

من أبرز الموضوعات التي تطرح على بساط البحث في حياتنا المعاصرة تلك النظرة التجزيئية التي تنظر إلى العلوم المختلفة على أنها منفصلة عن بعضها البعض، فهي تفصل بين العلوم التي تبحث في الكون والطبيعة والعلوم التي تدرس الإنسان من جهة، وتفصل بين هذه العلوم الكونية والإنسانية وبين العلوم الإسلامية من جهة أخرى. الأمر الذي أدى إلى الاخفاق في تشكيل رؤية تكاملية للمعرفة يمكن أن تستفيد منها البشرية، وتساهم في إعادة التوازن إلى حياة الإنسان المعاصر بسبب الاختلال الذي حدث نتيجة الفصل بين هذه العلوم.

في هذا السياق نجد الفيلسوف المسلم محمد إقبال الذي وفق للجمع بين الثقافتين الإسلامية والغربية مستخدماً طريقة القرآن ومستلهماً حقائقه، ومتحدثاً في الوقت نفسه بلغة العلم ولغة الفلسفة. وهنا تبرز إشكالية هذا البحث لتساءل كيف استطاع محمد إقبال أن يتمثل الفلسفة الغربية في فهم الإنسان وما هي خصائص التكامل المعرفي عنده؟ وذلك في دراسة وسمتها بـ (التكامل

التكامل المعرفي في فهم الإنسان عند الفيلسوف محمد إقبال..... أنيسة زغود

المعرفي في فهم الإنسان عند الفيلسوف محمد إقبال)، وقد تضمنت الدراسة العناصر الآتية:

- 1 - التعريف بمحمد إقبال.
- 2 - أبعاد فهم الإنسان عند محمد إقبال.
- 3- خصائص التكامل المعرفي عند محمد إقبال.
- 4- نتائج البحث.

1- التعريف بمحمد إقبال:

إن أهم ما يبرز صفة الإبداع والتميز في فلسفة إقبال هو أنه اهتم بالإنسان المعاصر سواء كان مسلماً أو غير مسلم، فخاطبه بلغة الشعر والأدب ولغة الفكر والفلسفة ولغة العلم. فمن يكون محمد إقبال؟ وما هي العوامل التي جعلت منه فيلسوف الإسلام وشاعره؟

هو إقبال بن نور محمد، ولد في مدينة "سيالكوت" في مقاطعة بنجاب في الثالث من ذي القعدة 1294هـ الموافق 9 تشرين ثاني نوفمبر 1877م . يرجع نسب أسرته إلى براهمة كشمير حيث أسلم أحد أجداده قبل ثلاثة قرون في عهد الدولة المغولية، كُبرى الدول الإسلامية التي قامت في الهند.¹

كان والداه صالحين تقيين؛ فأبوه كان متصوفاً عاملاً كادحاً في كسب رزقه يعمل لدينه وديناه ويؤثر عنه أنه قال لإقبال حين رآه يكثر قراءة القرآن: إن أردت أن تفقه القرآن فاقرأه كأنه أنزل عليك. وأم إقبال كانت تقيّة ورعة حتى كانت تتحرّج أن تأكل من وظيفة زوجها؛ إذ كان يعمل مع رئيس عُرف بأكل الرشوة، ولم تكن وظيفة زوجها من مال هذا الرئيس، ولكن كذلك كان ورعها.²

¹ - عبد الوهاب عزام، محمد إقبال سيرته وفلسفته وشعره، مؤسسة هنداوي، القاهرة، 2014م، ص 23.

² - عبد الوهاب عزام، محمد إقبال سيرته وفلسفته وشعره، ص 24 - 25.

بدأ محمد إقبال تعليمه في سن مبكرة على يد أبيه، ثم التحق بأحد مكاتب التعليم في سيالكوت وفي السنة الرابعة من تعليمه رأى أبوه أن يتفرغ للعلم الديني، ولكن أحد أصدقاء والده وهو الأستاذ مير حسن لم يوافق، وقال: هذا الصبي ليس لتعليم المساجد وسيبقى في المدرسة وانتقل إقبال إلى الثانوية، حيث كان أستاذه مير حسن يدرس الآداب العربية والفارسية، وكان قد كرس حياته للدراسات الإسلامية.¹

ورأى الأستاذ من ذكائه ومخايله، بل من قوله وفعله، ما زاده إعجاباً به، فعُني بتلقينه الدين والعربية والفارسية. ولما رآه ينظم الشعر وعرف موهبته فيه، أرشده وحرّضه وحسّن له أن ينظم باللغة الأردية مكان البنجابية.² وأتم إقبال دراسته الأولية في سيالكوت، ثم بدأ دراسته الجامعية باجتياز الامتحان العام الأول بالكلية الحكومية 1891م، التي تخرج فيها وحصل منها على إجازة الآداب 1897م، ثم حصل على درجة الماجستير 1899م، وحصل على تقديرات مرموقة في امتحان اللغة العربية في الكلية الحكومية. وتلقى إقبال دراساته الفلسفية في هذه الكلية على يد الأستاذ توماس أرنولد، وكان أستاذاً في الفلسفة الحديثة وفي الآداب العربية والعلوم الإسلامية في جامعة لندن.³

فرغ إقبال من تحصيل العلم في الكلية، فاختر لتدريس التاريخ والفلسفة في الكلية الشرقية في لاهور ثم نُصّب لتدريس الفلسفة واللغة الإنكليزية بكلية الحكومة التي تخرّج فيها.⁴

ثم سافر إلى لندن سنة 1905م حيث التحق بجامعة كامبردج، وأخذ شهادة عالية في الفلسفة وعلم الاقتصاد، ومكث في لندن ثلاث سنين يلقي محاضرات

¹ - من ويكيبيديا، الموسوعة الحرة .

² - عبد الوهاب عزام، محمد إقبال سيرته وفلسفته وشعره، ص 28.

³ - من ويكيبيديا، الموسوعة الحرة .

⁴ - عبد الوهاب عزام، محمد إقبال سيرته وفلسفته وشعره، ص 34.

التكامل المعرفي في فهم الإنسان عند الفيلسوف محمد إقبال..... أنيسة زغدود

في موضوعات إسلامية أكسبته الشهرة والثقة. و تولى أيضا تدريس آداب اللغة العربية في جامعة لندن مدة غياب أستاذه أرنولد، ثم سافر إلى ألمانيا، وأخذ من ميونخ الدكتوراه في الفلسفة، ثم رجع إلى لندن، وحضر الامتحان النهائي في الحقوق، وانتسب إلى مدرسة الاقتصاد والسياسة في لندن وتخصص في المادتين ثم رجع إلى وطنه سنة 1908 م.¹

رجع إقبال إلى التدريس في كلية الحكومة التي تخرّج فيها، فعلم الفلسفة والأدب العربي والأدب الإنكليزي. ثم استقال من الكلية بعد أن عمل بها نحو سنة ونصف، واكتفى بالمحاماة.²

وفي الحادي والعشرين من أبريل سنة 1938م، رحل إقبال الفيلسوف الشاعر بعد أن اشتدت عليه العلة، وكانت فلسفته فلسفة أمل وعمل وجهاد وإقدام، ودعوة عزة وكرامة وحرية. فهي مدد للأمم المجاهدة لحريتها وكرامتها، تبعث فيها النور والنار. وقد وجّه دعوته إلى البشر عامة، والمسلمين خاصة، وأخذ من التاريخ الإسلامي أمثلة لفلسفته وصوراً لشعره. وكان إقبال أول من دعا إلى أن تُقسم الهند فيكون للمسلمين بها موطنٌ يخصّهم.³ وظهرت بعد موته بسنوات قلائل دولة باكستان .

وقد حدد أبو الحسن الندوي المدارس التي تخرج فيها محمد إقبال، فذكر أنه تخرج من مدرستين: المدرسة الأولى هي مدرسة الثقافة العصرية والدراسات الغربية التي أخذ منها الفلسفة والاجتماع والاقتصاد والأخلاق والسياسة والآداب الإنجليزية والألمانية حتى أصبح من أفذاذ الشرق الإسلامي في ثقافته الغربية، وبلغ بدراسته إلى أحشاء الفلسفة القديمة والحديثة، ولكنها

¹ - ديوان محمد إقبال، سيد عبد الماجد الغوري، ج1، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع (دمشق- بيروت)، ط 3، 1428هـ - 2007م، ص 20 .

² - عبد الوهاب عزام، محمد إقبال سيرته وفلسفته وشعره، ص 42 .

³ - عبد الوهاب عزام، محمد إقبال سيرته وفلسفته وشعره، ص 46- 47- 51 .

مدرسة -على أهميتها- أقل شأنًا من المدرسة الثانية . وأما المدرسة الثانية التي كان لها أعظم الأثر في شخصية إقبال فهي مدرسة تخلق التاريخ وتضع الفكرة وهي أقدم مدرسة على وجه الأرض، لأنها مدرسة داخلية تولد مع الإنسان، ويحملها الإنسان معه في كل مكان، وهي مدرسة القلب والوجدان، وهي مدرسة تشرف عليها العناية الإلهية وتمدها القوة الروحية.¹

أما العوامل التي نبعت من هذه المدرسة الثانية وكونت شخصية إقبال وعبقريته فهي: 1- الإيمان الشديد بالإسلام ورسالته والتعلق العميق برسول الله صلى الله عليه وسلم . 2- القرآن الكريم الكتاب الخالد وأساس السعادة، الذي أقبل عليه إقبال يتذوقه ويتدبره ويخرج منه بعلم جديد وإيمان جديد وإشراق جديد وقوة جديدة . 3- معرفة النفس والغوص في أعماقها والاعتداد بكرامتها . 4- التقرب إلى الله تعالى ومناجاة ربه في السحر وكان يدعو: " خذ مني ما شئت يا رب، ولكن لا تسلبني اللذة بأنة السحر، ولا تحرمني نعيمها " 5- المثنوي الفارسي الذي نظمه جلال الدين الرومي في ثورة وجدانية ونفسية جديدة ضد الموجه الإغريقية التي اجتاحت العالم الإسلامي في عصره. فانتصر للقلب والوجدان والروح والإيمان والحب الصادق . وقد ساعد إقبال في تحريره من رق العقل والخضوع للمادية الزائفة التي طبعت العالم الغربي الذي جرف القيم الروحية والخلقية .²

2 - أبعاد فهم الإنسان عند محمد إقبال:

هل كان إقبال حين كتب عن الإنسان متأثراً بالفلاسفة الوجوديين الذين اهتموا بالإنسان في ذاته؟ أم أنه كتب متأثراً بالتصوف الذي تربى في ظلاله وتأثر بأهم أقطابه وهو جلال الدين الرومي؟ أم أنه كتب لأسباب أخرى مرتبطة بذاته

¹ - أبو الحسن علي الحسن الندي، روائع إقبال، دار الفكر بدمشق، ط 1، 1379 هـ - 1960 م، ص 22 - 24.

² - أبو الحسن علي الحسن الندي، روائع إقبال، ص 25-31-32-37-38-39.

ووعيه ؟ هذه الأسئلة تستوقف الباحث لأنه يجد نفسه أمام ثراء فكري فلسفي وروحي متدفق، جعلت حسن حنفي يسم فلسفة إقبال المبتوثة في شعره وهو الأكثر وفي نثره - والتي اهتمت بشكل بارز بالإنسان - بفيلسوف الذاتية . وفي محاولة الإجابة على هذه الأسئلة نفرع هذا المبحث إلى العناصر الآتية :

ا- دوافع الاهتمام بالإنسان .

ب - ماهية الإنسان.

ج - الذات وكيفية تحقيق وجودها .

ا - دوافع الاهتمام بالإنسان :

قد نتساءل عن الإطار النظري الذي يتناول فيه محمد إقبال الحديث عن الإنسان، وفي الواقع من الصعوبة بمكان تحديد الإجابة، لأن ذلك يقتضي الإلمام بكل آثار محمد إقبال وهو أمر متعذر لغير متخصص في دراسة فكره . ويمكن أن نذكر أن إقبال يتحدث عن الإنسان في كتابه (تجديد التفكير الديني في الإسلام) في سياق نقده للفكر اليوناني وما تركه من آثار سلبية على الفكر الإسلامي، وفي سياق تخوفه من الحضارة الغربية .

يرى إقبال أن التدقيق في درس القرآن الكريم وفي تمحيص مقالات المتكلمين على اختلاف مدارسهم التي نشأت ملهمة بالفكر اليوناني، يكشفان عن حقيقة بارزة هي : أن الفلسفة اليونانية مع أنها وسعت آفاق النظر العقلي عند مفكري الإسلام غشت على أبصارهم في فهم القرآن¹ .

ويعطي على ذلك مثالا في غاية الأهمية حين يقول: كان سقراط يقصر همّه على عالم الإنسان وحده. وكان يرى أن معرفة الإنسان معرفة حقة إنّما تكون بالنظر في الإنسان نفسه، لا بالتأمل في عالم النبات والهوام والنجوم. وما أشد مخالفة هذا لروح القرآن الذي يرى في النحل... محلا

¹ - محمد إقبال، تجديد التفكير الديني في الإسلام، نقله إلى العربية عباس محمود، راجعه عبد العزيز المراغي ومهدي فهد، دار آسيا، طبعة جديدة منقحة 1985م، ص 8.

التكامل المعرفي في فهم الإنسان عند الفيلسوف محمد إقبال..... أنيسة زغود

للوحي الإلهي، والذي يدعو القارئ دائما إلى النظر في تصريف الرياح... وفي تعاقب الليل والنهار...¹

ومن المؤسف كما يرى إقبال أن علماء الإسلام لم يتبينوا بوضوح تعارض روح القرآن مع الفلسفة القديمة، فابن رشد المنافع عن الفلسفة اليونانية ساهم في نشر المذهب القائل بخلود العقل الفعال وهو رأي يتعارض تماما مع نظرة القرآن إلى قيمة النفس الإنسانية وإلى مصيرها، وبهذا غابت عن ابن رشد فكرة إسلامية عظيمة، وساعد عن غير قصد على نمو فلسفة للحياة تورث الضعف، وتغشي على بصر الإنسان عند نظره إلى نفسه وإلى ربه وإلى دنياه.²

ومن جهة أخرى يرى إقبال أن أبرز ظاهرة في التاريخ الحديث هي السرعة الكبيرة التي ينزع بها المسلمون في حياتهم الروحية نحو الغرب. ولا غبار على هذا المنزع فإن الثقافة الأوربية في جانبها العقلي ليست إلا ازدهارا لبعض الجوانب الهامة في ثقافة الإسلام. وكل الذي نخشاه - كما يقول - هو أن المظهر الخارجي البراق للثقافة الأوربية قد يشل تقدمنا فنعجز عن بلوغ كنهها وحقيقتها... فلا عجب أن نجد شباب المسلمين في آسيا وفي إفريقيا يتطلبون توجيها جديدا ببعيدتهم. ولهذا لا بد من أن يصاحب يقظة الإسلام تمحيص بروح مستقلة لنتائج الفكر الأوربي.³

وبعد هذه المقدمات التي يضعها إقبال يكشف عن نيته وهدفه فيقول " لقد آن الأوان للنظر في مبادئ الإسلام وأصوله. وإني لأعتزم في هذه المحاضرات أن أناقش مناقشة فلسفية بعض الأفكار الأساسية في الإسلام على أمل أن يتيح

¹ - محمد إقبال، تجديد التفكير الديني في الإسلام، ص 8-9.

² - محمد إقبال، تجديد التفكير الديني في الإسلام، ص 9-10.

³ - محمد إقبال، تجديد التفكير الديني في الإسلام، ص 13-14.

لنا ذلك على أقل تقدير فهم معنى الإسلام فهما صحيحا بوصفه رسالة للإنسانية كافة".¹

إن إقبال رجل مسلم مثقف مرهف الحس، مرتبط الوجدان بدينه وأمته، دقيق الملاحظة لأحوال المسلمين في الهند خاصة وفي المسلمين عامة. وقد لبث "سنين يفكر في حال المسلمين، ويمعن النظر في أسباب ضعفهم، ويحيل الفكر في ماضي الأمم وحاضرها، ويقرأ فلسفتها حتى انتهى إلى مذهبه الذي أبان عنه في منظومته (أسرار خودي)."² ويبدو أن تركيزه على الذات يرجع إلى جهل أمم الهند والشرق بأهمية الأنا وحقيقتها في الحياة وانتشار المفاهيم غير الصحيحة عنها. "ولقد صاغ إقبال للمسلمين فلسفة الذاتية لأن الخمول والكسل واللامبالاة هي السمات المنتشرة في المسلمين".³

عاش إقبال حياته مؤمنا إيمانا عميقا بأنه صاحب رسالة، عارفا بواقعه يرى أن مصدر تدهور حياة المسلمين هو القلب الذي خوى من الإيمان وشعلة الحياة، فحرص على بعث الروح من جديد في شباب العالم الإسلامي، ولم ينخدع ببريق الحضارة الغربية بل كان نائرا على عالم المادية الضيق. وكان قصده "بعث الحياة والروح في المسلمين وإيجاد الثقة والاعتزاز بشخصيتهم والإيمان برسالتهم والطموح إلى القوة والحرية والسيادة".⁴

في ديوانه (رسالة الشرق) - الذي كان بعد مائة عام، جوابا على ديوان الشاعر الألماني جوتو - نفث الشاعر آلامه على أحوال المسلمين، وحز في نفسه ما رأى من فنون الحضارة الأوربية وضلالها وجور ساستها وقوة قاداتها

¹ - محمد إقبال، تجديد التفكير الديني في الإسلام، ص 15.

² - عبد الوهاب عزام، محمد إقبال سيرته وفلسفته وشعره، ص 60.

³ - حسن حنفي، محمد إقبال فيلسوف الذاتية، دار المدار الإسلامي، ط 1، 2009م، ص 9.

⁴ - ديوان محمد إقبال، سيد عبد الماجد الغوري، ج 1، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع (دمشق - بيروت)، ط 3، 1428هـ - 2007م، ص 38.

التكامل المعرفي في فهم الإنسان عند الفيلسوف محمد إقبال.....أنيسة زغدود

وعدوانهم على الأمة الضعيفة . ونصح الأمم الشرقية بإقامة الروابط الاقتصادية والثقافية فيما بينهم، وبتّين لهم أن الوقوف في وجه السياسة الاستعمارية بأشكالها المختلفة والعودة إلى أحكام الإسلام وامتثالهم للأوامر القرآنية هو طريق للنجاة.¹ وقد تضمن هذا الديوان النظر في الحقائق الأخلاقية والدينية والمذهبية التي تتصل بالتربية الباطنية للأفراد والأمم . وتنبأ بأن الاضطراب الباطن في أمم العالم ... هو مقدمة انقلاب حضاري وروحاني عظيم جدا.² وعليه يمكن أن نقول أن همّ المسلمين الذي يحمله إقبال في قلبه هو الذي فجر عبقريته وشاعريته ليبدع فلسفة الذاتية .

ب - ماهية الإنسان:

قبل أن يبين إقبال مفهوم الإنسان في القرآن، يشرع أولاً في بيان طبيعة العالم الذي يعيش فيه الإنسان كما صورة القرآن، منطلقاً من حقيقة يقرها وهي أن : "الهدف الرئيسي للقرآن هو أن يوقظ في نفس الإنسان شعوراً أسمى بما بينه وبين الخالق وبين الكون من علاقات متعددة ."³

فيرى أن العالم لم يخلق عبثاً لمجرد الخلق لا غير قال تعالى : (وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لأعين ما خلقناهما الا بالحق ولكن أكثر الناس لا يعلمون .) الدخان 38-39. فوق هذا فالعالم مرتب على نحو يجعله قابلاً للزيادة والامتداد قال تعالى : (الحمد لله فاطر السموات والأرض جاعل الملائكة رسلاً أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد في الخلق ما يشاء إن الله على كل شيء قدير .) فاطر 1. فليس هذا العالم كتلة وليس إنتاجاً مكتملاً، وليس جامداً غير قابل للتغيير والتبدل، بل ربما استقر في أعماق كيانه حلم نهضة

¹ - ديوان محمد إقبال، سيد عبد الماجد الغوري، ج1، ص 8 .

² - ديوان محمد إقبال، سيد عبد الماجد الغوري، ج1، ص 258.

³ - محمد إقبال، تجديد التفكير الديني في الإسلام، ص15.

التكامل المعرفي في فهم الإنسان عند الفيلسوف محمد إقبال.....أنيسة زغود

جديدة. قال تعالى (قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ
النشأة الآخرة إن الله على كل شيء قدير.) العنكبوت 20¹.

ثم ينتقل إقبال إلى الحديث عن الإنسان فيتساءل: وإذا كانت هذه هي
طبيعة العالم وما يحمل في طياته من رجاء، فما طبيعة الإنسان الذي يواجهه هذا
العالم من جميع النواحي؟²

يرى إقبال أن هناك ثلاثة أمور واضحة كل الوضوح في القرآن حول
حقيقة الإنسان³ وهي: أولاً: أن الإنسان قد اصطفاه الله. قال تعالى: (ثم
اجتبه ربه فتأب عليه وهدى.) طه 122.

ثانياً: إن الإنسان بالرغم من أخطائه جميعاً، أريد به أن يكون خليفة الله
في أرضه قال تعالى: (وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا
أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال
إني أعلم ما لا تعلمون.) البقرة 30.

وقال تعالى: (وهو الذي جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق
بعض درجات ليلوكم في ما آتاكم إن ربك سريع العقاب وإنه لغفور رحيم)
الأنعام 165.

ثالثاً: أن الإنسان أمين على شخصية حرة تبعثها على عاتقه لقوله تعالى:
(إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن
منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً) الأحزاب 72.

وفي وصف الإنسان يؤكد إقبال أن⁴: الإنسان بما وهب الله له من قوة
متوازنة على أحسن ما يكون، قد ألقى نفسه في أسفل ميزان الوجود وقد أحاط

¹ - محمد إقبال، تجديد التفكير الديني في الإسلام، ص 17

² - محمد إقبال، تجديد التفكير الديني في الإسلام، ص 18.

³ - محمد إقبال، تجديد التفكير الديني في الإسلام، ص 109.

⁴ - محمد إقبال، تجديد التفكير الديني في الإسلام، ص 18.

به من كل جانب قوى تقيم في وجهه العقبات .قال تعالى: (لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين .) التين 4- 5.
ومع أن نصيب الإنسان في الوجود شاق وحياته وهن كورقة الورد - كما يقول إقبال - فليس للروح الإنسانية نظير بين جميع الحقائق في قوتها وفي إلهامها، وفي جمالها . ولهذا فإن الإنسان في صميم كيانه هو كما صورته القرآن قوة مبدعة وروح متصاعدة تسمو في سيرها قدما من حالة وجودية إلى حالة أخرى.¹ قال تعالى : (فلا أقسم بالشفق والليل وما وسق والقمر إذا اتسق لتركن طبقا عن طبق .) الانشقاق 16- 19 .

فإذا لم ينهض الإنسان إلى العمل، ولم يبعث ما في أعماق كيانه من غنى، وكف عن الشعور بباعث من نفسه إلى حياة أرقى، أصبحت روحه جامدة جمود الحجر، وهوى إلى حضيض المادة الميتة .على أن وجود الإنسان وتقدمه الروحي يتوقفان على إحكام العلاقات بينه وبين الحقيقة التي يواجهها، وهذه العلاقات تنشئها المعرفة، وهي الإدراك الحسي الذي يكمله الإدراك العقلي² . قال تعالى: (وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السماوات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون .) البقرة 30- 33.

ويرى إقبال في قصة هبوط آدم إلى الأرض كثيرا من الإيحاءات ومنها:

¹ - محمد إقبال، تجديد التفكير الديني في الإسلام، ص 19.

² - محمد إقبال، تجديد التفكير الديني في الإسلام، ص 20.

1 - يقسم القرآن القصة إلى حادثتين متميزتين : إحداهما تتعلق بما يصفه بالشجرة فقط، والأخرى خاصة بشجرة الخلد وملك لا يبلى .وردت الأولى في سورة الأعراف والثانية في سورة طه .¹ في قوله تعالى (ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين .) الأعراف 19 و(فقلنا يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى .) طه 117-119.

ويرى إقبال أن رواية القرآن تقوم على أن آدم وزوجته أزلهما الشيطان الذي يوسوس في صدور الناس فذاقا من ثمار الشجرتين كليهما. على حين رواية العهد القديم تقوم على أن الإنسان طرد من جنة عدن فور عصيانه الأول.²

2 - يلعن العهد القديم الأرض لعصيان آدم .أما القرآن فيجعل الأرض مستقرا ومتاعا للإنسان ينبغي أن يشكر الله عليه . (ولقد مكناكم في الأرض وجعلنا لكم فيها معاش قليلا ما تشكرون .) الأعراف 10.³

3 - يميل إقبال إلى اعتبار الجنة التي جاء ذكرها في القرآن تصويرا لحالة بدائية يكاد يكون الإنسان فيها مقطوع الصلة بالبيئة التي يعيش فيها، ومن ثم فإنه لا يحس بلدغة المطالب التي تحدد نشأتها دون سواها من العوامل، بداية الثقافة الإنسانية .⁴

4 - يرى إقبال أن قصة هبوط آدم أريد بها بيان ارتقاء الإنسان من بداية الشهوة الغريزية إلى الشعور بأن له نفسا حرة قادرة على الشك والعصيان وليس يعني الهبوط أي فساد أخلاقي، بل هو انتقال الإنسان من الشعور البسيط إلى

¹ - محمد إقبال، تجديد التفكير الديني في الإسلام، ص 98.

² - محمد إقبال، تجديد التفكير الديني في الإسلام، ص 98.

³ - محمد إقبال، تجديد التفكير الديني في الإسلام، ص 98.

⁴ - محمد إقبال، تجديد التفكير الديني في الإسلام، ص 99.

التكامل المعرفي في فهم الإنسان عند الفيلسوف محمد إقبال..... أنيسة زغود

ظهر أول بارقة من بوارق الشعور بالنفس، هو نوع من اليقظة من حلم الطبيعة أحدثتها خفقة من الشعور بأن للإنسان صلة عليّة شخصية بوجوده... فالمعصية الأولى للإنسان كانت أول فعل له تتمثل فيه حرية الاختيار، ولهذا تاب الله على آدم كما جاء في القرآن وغفر له ¹.

بناء على هذا يمكن اعتبار إقبال ينظر إلى الإنسان على أنه مخلوق مكرم حرّ مسؤول مزود بمؤهلات رائعة ليؤدي أمانة الخلافة في الأرض. وأنه يكتشف ملكاته ومواهبه باستمرار من خلال مكابدة الحياة الدنيا .

ج - الذات وتحقيق وجودها:

كان إقبال يرى أن أسس الإسلام تتمركز حول النفس وفهم طبيعتها . ولذلك أسس فلسفته على الذات. لقد كان " شديد الاعتداد بالنفس، يرى أن العبد يسمو بها إلى درجة الملوك بل يعلوهم إذا كان جريئاً مقداماً، يقول في قصيدة له : انزل في أعماق قلبك، وادخل في قرارة شخصيتك، حتى تكتشف سر الحياة... أنصف نفسك يا هذا واعرفها وكن لها وفيها، ما ظنك بعالم القلب وهو كلّ حرارة وسكر، وحنان وشوق، أما عالم الجسم فتجارة، وزور واحتيال، إن ثروة القلب لا تفارق صاحبها... إن عالم القلب لم أر فيه سلطة الافرنج، ولا اختلاف الطبقات...²

ويعتبر (أسرار خودي) أول دواوين إقبال الفلسفية الذي أوضح فيه فلسفته في الذات والذي نشر عام 1915م، ثم نشر ديوانه الثاني (رموز بي خودي) عام 1918م.³ فماذا تعني (خودي أو الأنا ؟)

ويجيب إقبال في مقدمة منظومته (أسرار خودي) بأن أفلاطون ذهب - ومن ورائه حكماء إيران والهند - إلى أن الكون لا يتمتع إلا بالوجود الكوني،

¹ - محمد إقبال، تجديد التفكير الديني في الإسلام، ص 99.

² - ديوان محمد إقبال، سيد عبد الماجد الغوري، ج1، ص 36 جناح جبريل .

³ - عبد الوهاب عزام، محمد إقبال سيرته وفلسفته وشعره، ص 59.

وأن ذات الإنسان وهم وخدعة لا غير، وهذه الخدعة تستمد القوة من العمل الذي ينشأ من الرغبة، فالطريق إلى التخلص من هذه الخدعة هو أن يتدرج الإنسان من ترك الرغبة إلى ترك العمل، لكي تفنى ذات الإنسان في بحر الوجود الكلي، وفناء الذات هو الغاية من الحياة. هذه هي فلسفة الحياة التي انتشرت في المسلمين باسم نظرية وحدة الوجود، والتي حولت المسلمين من أمة دائبة في العمل إلى جماد لا حراك به.¹

وقد عارض إقبال فلسفة الحياة هذه بفلسفة خودي، وتتلخص في أن الوجود ليس كلياً يشمل الكون من حيث المجموع، بل هو فردي يخص جميع الموجودات كلا على حدى. فخودي عبارة عن أسمى صورة للحياة الفردية التي بها تتشكل شخصية الإنسان، ووجوده المستقل. وعلى هذا فالغاية من الحياة الإنسانية هي إثبات خودي لا سلب الذات.²

الذات هي: للكائن الفرد الشخصية والقدرة والكمال. وهي في تطورها وارتقائها تضع المثل العليا وتحققها بجهودها.³ طبيعة الذات نفسها تدفعها إلى بلوغ الكمال إلى أقصى حد ممكن وإلى بذل الجهد العنيف. قال إقبال في جناح جبريل: يتجاوز الهلال كل وجوهه وجها بعد وجه. من يستطيع بلوغ الغاية القصوى دون جهد كبير؟ وقال في رسالة الشرق: لا تتجنب الأزمنة الصعبة. من لم يتخطى العقبات لا قيمة له. ألا تعلم أن الموجة لا تكون ممتعة إلا عندما تلطم الصخور؟⁴

¹ - ديوان محمد إقبال، سيد عبد الماجد الغوري، ج2، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع (دمشق- بيروت)، ط 3، 1428هـ - 2007م، ص 13.

² - ديوان محمد إقبال، سيد عبد الماجد الغوري، ج2، ص 14.

³ - ديوان محمد إقبال، سيد عبد الماجد الغوري، ج1، ص 64.

⁴ - ديوان محمد إقبال، سيد عبد الماجد الغوري، ج1، ص 65.

هذا الجهد الشاق الذي يدفعك إلى تسلق مرتقى الوجود، والذي يمثل ظاهرة الذات هو الحب. قال في جناح جبريل : الحب أن تبصر الذات، الحب أن تصون الذات. والذات الفردية وهي تتكامل بدافع من طبيعتها، تنسجم مع الذوات الأخرى، وتصل إلى مرتبة عليا وهي الجمال.¹

و على الإنسان أن يستخرج كل ما في فطرته من مواهب، وأن يعتمد على نفسه، ويظهر ذاته في قوله وفعله، ويحذر التقليد والاعتماد على غيره، وطلب ما عند الناس والغفلة عما في نفسه من كنوز. وبهذا كله تقوى الذات، وقوة الذات هي مقصد هذه الحياة.²

والذات المفردة القوية الناضجة تنسلك في الجماعة ولا تفنى فيها، وقد بين إقبال في أسرار خودي كيف يلتئم الواحد القوي في جماعته وكيف يسعد بهذا الالتئام ويبقى ولا يفنى. يقول: يا من في القافلة سر رفيقا وكن وحيدا . ويقول في ضرب الكليم : هو في المجمع خال ومن الحشد طليق . مثل شمع الحفل، في الحفل وحيد ورفيق.³

ويبين إقبال المراحل المختلفة لارتقاء خودي فيقول : إن المرحلة الأولى هي خلق المقاصد أو توليد الرغبات، فإن الرغبات والأمانى هي عين الحياة وأصل القوة من حيث أنها تحرك وتدفع إلى العمل . والمرحلة الثانية هي مرحلة الجهاد المتواصل لتحقيق تلك المقاصد والحماس للسبق إلى الرغبات وهو ما يسمى عند إقبال بالعشق . وهناك ثلاث شروط للنجاح في هذا الجهد : أولها الطاعة : وهي الانقياد التام لأوامر الله، وذلك يستلزم إنشاء مجتمع على النظام الذي جاء به القرآن، وينتج من الطاعة ضبط النفس وهو الشرط الثاني للنجاح،

¹ - ديوان محمد اقبال، سيد عبد الماجد الغوري، ج1، ص 66.

² - ديوان محمد اقبال، سيد عبد الماجد الغوري، ج1، ص 79.

³ - ديوان محمد اقبال، سيد عبد الماجد الغوري، ج1، ص 80.

التكامل المعرفي في فهم الإنسان عند الفيلسوف محمد إقبال..... أنيسة زغردود

وليس المراد بضبط النفس القضاء أو الضغط على الشهوات، بل مجرد كظمها، أي تغيير مجراها، وتحويل وجهتها بحيث يتم التوازن بينها.¹

وإذا تم تطهير الفكر والعمل وتهذيب النفس، وصل الإنسان إلى المقام الذي يسميه إقبال (نيابة الله)، وذلك هو الشرط الثالث. وتعني القوة التنفيذية التي تتولى إجراء حدود الله (أحكام القرآن) في العالم. هذا المقام هو (مقام المؤمن) الذي يمثل مدى قوة خودي واستحكامه. وإذا انتهى الإنسان إلى هذا المقام، غلب على الدنيا ولم تغلب عليه. وهي الحال التي تسمى في عرف إقبال الفقر، (حال الدرويش أو القلندر)، وهي عبارة عن تسخير جميع الكون ثم الاستغناء عنه، بحيث يكون الإنسان مظهراً لصفة من صفات الله هي الصمد وغني عن العالمين. و الجماعة التي تنتظم أفراداً هذه حالهم هي الأمة المسلمة. وأقصى ما تهدف إليه رسالة إقبال هو البعث الجديد لهذه الأمة.²

الإنسان الكامل عند إقبال: يعشق الحق في أقصى مداه. و الذات في أوج مجدها. عبر الحب تصبح الذات حياة، ولأن الذات خالدة، فالحياة وهي مظهر الذات خالدة كذلك. و لأن الحب يدفع إلى رقي الذات رقياً دائماً فهو خالد. وخالد كذلك كل ما ينجزه الحب.³

ويطلق إقبال على إنسانه الكامل على حسب ما يطرأ عليه من تحولات، وما قطع من مراحل الكمال، لقب: الإنسان الحرّ، الإنسان الجسور، القلندر، الإنسان المتجرد، الدرويش.⁴

¹ - ديوان محمد اقبال، سيد عبد الماجد الغوري، ج2، ص 14-15.

² - ديوان محمد اقبال، سيد عبد الماجد الغوري، ج2، ص 15.

³ - ديوان محمد اقبال، سيد عبد الماجد الغوري، ج1، ص 69.

⁴ - ديوان محمد اقبال، سيد عبد الماجد الغوري، ج1، ص 69 - 70 القلندر : هو الإنسان

الذي لا يصل نفسه بمال ولا أهل ولا دار، ص 85.

هذا الإنسان الكامل هو روح الإنسانية المشخصة، وهو في سموه وفي رشاقتة المثل الأعلى للإنسان المتوازن خير توازن نتصوره. يقول في عصى موسى : المؤمن في هذا العالم: ناعم كالحرير في حلقة الأصدقاء. صلب كالحديد في معركة الحق والباطل، هذا هو المؤمن... الإنسان المسلم : يبدو المؤمن كل لحظة في نهار جديد، يتجلى الله في أقواله وأفعاله : السلطان الرفق والصفاء والقدرة الكلية، هذه العناصر الأربعة ضرورية لبناء المسلم...¹

ويرى إقبال في شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم الإنسان الكامل، كما يجد المجتمع المثالي في صحابته مثل أبي بكر الصديق وعمر الفاروق وعلي وأبي ذر وسلمان الفارسي وخالد بن الوليد... ولقد عاشوا جميعا حياة نموذجية، ووضعوا حب رسولهم، وطريقة سلوكهم التي علمهم إياها فوق كل شيء، ألا وهو الذات الفردية التي بلغت حد الكمال والتي ذابت في الذات الجماعية، دون أن تتخلى عن قيمها الشخصية.²

ويعتقد إقبال أن الإنسان كلما تشبه بالله أصبح منفردا عزيز الوجود، وذلك ما يسمى بتقوية خودي وإحكامها . والمحك الذي يكشف عن قوة خودي وضعفها هو مدى تغلب الإنسان على الموانع التي تعترض سبيله في الحياة . و أعظم تلك الموانع هي المادة ولكنها ليست شرا، بل هي وسيلة لإيقاظ الهمم، وإبراز قوى الإنسان من مكانها وتغلب الإنسان على العوائق هو الذي ييسر لها الحصول على الحياة الخالدة . فكل عمل يؤدي إلى تقوية خودي خير، وكل عمل يؤدي إلى إضعافها شر.³

ويمكن أن نقول أن فلسفة إقبال تقوم على إثبات الذات وذلك في علاقة الإنسان بالإنسان حيث يرفض الهوان والذل، ومن جهة أخرى تقوم على نفى

¹ - ديوان محمد إقبال، سيد عبد الماجد الغوري، ج1، ص 70 - 71.

² - ديوان محمد إقبال، سيد عبد الماجد الغوري، ج1 ص 72.

³ - ديوان محمد إقبال، سيد عبد الماجد الغوري، ج2، ص 14.

التكامل المعرفي في فهم الإنسان عند الفيلسوف محمد إقبال..... أنيسة زغود

الذات وذلك في صلة العبد بخالقه جل جلاله من خلال عبوديته التامة له وخضوعه وذله وتسليمه له. كما أنه يراعي فيها البعد الفردي والبعد الاجتماعي الذي يسمه بالأمة .

3- خصائص التكامل المعرفي عند إقبال :

أسس إقبال فلسفة إنسانية تحمل بصماته وأهم مميزاتها التكامل المعرفي الذي تناول خصائصه في العناصر الآتية : 1- تنوع المرجعية وراثها . ب - النزعة الإنسانية الروحية ذات الصبغة الصوفية . ج - الروح النقدية البناء للفكر والمعرفة .

1 - تنوع المرجعية وراثها:

ولد إقبال في مجتمع هندي منفتح على الثقافات المختلفة التي تتنوع فيها الأديان واللغات والعادات والأفكار، ونتيجة لذلك " لم يجد محمد إقبال ما يحول بينه وبين الاستفادة من المعارف الإنسانية بغض النظر عن مصدرها، سواء كانت غربية أم شرقية، ولم يصدر في مواقفه الفكرية من معايير عقائدية أو إيديولوجيا اصطفائية تنفي الآخر. وهذه ميزة لا تنفرد فيها آثار محمد إقبال وإنما طبعت الإنتاج الفكري للإسلام الهندي في القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين".¹

وإقبال هو كما يقول الشاعر الألماني الكبير هرمان هسه H.Hesse: ينتمي إلى ثلاثة أحياز روحية، وهذه الأحياز الروحية الثلاثة هي منابع آثاره العظيمة، وهي حيز القارة الهندية، وحيز العالم الإسلامي، وحيز الفكر الغربي. فهو مسلم كشميرياً الأصل مثقف بالقرآن، وبالفيانثا، وبالتصوف العربي الفارسي، وفي نفس الوقت متضلع في الفلسفة الغربية، مطلع على مشاكلها المعقدة. قرأ وفهم

¹ - اجناس جولد تسيهر، مذاهب التفسير الإسلامي، ترجمة عبد الحلیم النجار، بيروت، دار اقرأ، 1992م، ص 347 - 348.

التكامل المعرفي في فهم الإنسان عند الفيلسوف محمد إقبال.....أنيسة زغدود

كانط Kant وبرجسون Bergson ونيتشة Nietzsche وغيرهم، ونحت ممراته الخاصة التي قادته شيئاً فشيئاً إلى أرضه الفلسفية الروحية التي لا تشبهها أرض أخرى.¹ ويمكن أن نفهم فلسفة إقبال في ضوء ثراء مرجعيته وتنوع مصادرها، فبالإضافة إلى وعيه بواقعه وقراءته لعصره، فقد جمع بين مصادر الثقافة العربية الإسلامية ومصادر الثقافة الغربية وثقافته الهندية الأمّ. فالقارئ لكتابه (تجديد التفكير الديني في الإسلام) يجده يتناول مصادر الإسلام، ويتحدث عن علماء المسلمين المتقدمين وعن المتكلمين كالشاعرة والمعتزلة وعن الفلاسفة المسلمين وعن المصلحين كابن تيمية والأفغاني ومحمد بن عبد الوهاب وعن الفلسفة اليونانية وفلاسفة النهضة الأوروبية والفلسفة الحديثة. فكتابه زاخر بأسماء: سقراط وأفلاطون والغزالي وابن رشد وابن خلدون وجلال الدين الرومي وشاه ولي الله الدهلوي وديكارت وكانط وهيغل وبرغسون ويكون نيتشه وستيوارت ميل ونيوتن واينشتين وداروين وفرويد ووليم جيمس وماكدونالد وشوبنهاور وغيرهم كثير.

ب - النزعة الإنسانية الروحية ذات الصبغة الصوفية :

لا أحد يشك في المذهب الروحي الصوفي ذي البعد الإنساني الذي ميز شعر إقبال وفلسفته، فحياة إقبال ناطقة بذلك، فهو دائماً يؤكد على التجربة الروحية للإنسان ومن ذلك حديثه عن صلاة الفرد وصلاة الجماعة إذ يرى أنها " تعبير عن مكنون شوق الإنسان إلى من يستجيب لدعائه في سكون العالم المخيف، وهي فعل فريد من أفعال الاستكشاف، تؤكد به الذات الباحثة وجودها في نفس اللحظة التي تنكر فيها ذاتها. فتتبين قدر نفسها ومبررات وجودها

¹ - مانويل فايشر، محمد إقبال وعلاقته بالثقافة الغربية، مجلة فكر وفن الصادرة بالعربية مرتين في السنة من ألمانيا بإدارة: آن ماري شيمبل وألبرت تآيلاً، العدد 32 خاص بإقبال، 1979م، ص 4. Manwel Weischer Iqbal und die Westliche Kultur.

بوصفها عاملاً محركاً في حياة الكون. " ¹ لكن هناك اعتراضات وجهت لإقبال في حياته .

فلما ترجم نكلسون منظومة أسرار خودي إلى الإنجليزية، كتب بعضهم نقداً لآراء إقبال، واعترض بعضهم على فلسفته بأنها فلسفة قائمة على تعظيم القوة والدعوة إليها، كفلسفة نيتشه الألماني، وبأنها فلسفة ليست إنسانية عامة وإنما تخاطب أمة من الناس هي أمة المسلمين. و أجاب إقبال رداً على من زعم أنه أخذ نظرية الإنسان الكامل من فلسفة نيتشه الذي سماه الإنسان فوق البشر superman إنه كتب قبل ثلاثين سنة مقالا عن الإنسان الكامل عند الصوفية ولم يكن قد اطلع على كتب نيتشه ولا سمع باسمه. ²

ويرد إقبال على دكسن بأن دعوته إلى القوة الروحية لا إلى القوة المادية، ويؤكد أن فلسفته التي تقوم على الكدح الذي يدعو إلى الرجولة والصلابة - وهو ضروري للبقاء الشخصي - الذي هو أعلى درجات الحياة ينكره نيتشه، ولهذا دعا إلى الكدح والحركة والجد وكل ضروب العمل، بل الحرب حتى تستحكم الذات ولهذا أيضاً نهى عن جمود الصوفية وسكون الرهبان. ³

ورد إقبال أيضاً على دكسن - الذي رأى أن فلسفة إقبال محدودة وإن كانت أصولها عامة - بأن الشعر والفلسفة ينبغي أن تكون مقاصدها إنسانية عامة، ولكن المقاصد لا بد من تحقيقها أول الأمر في جماعة معينة لها مسلك معين وطرائقها تنسج بالدعوة والتبليغ وهذه الجماعة هي الأمة الإسلامية التي ينتمي إليها إقبال مؤكداً أن الإسلام عدو لعصبيات الألوان والاجناس. ⁴

¹ - محمد إقبال، تجديد التفكير الديني في الإسلام، ص 107.

² - عبد الوهاب عزام، محمد إقبال سيرته وفلسفته وشعره، ص 125.

³ - عبد الوهاب عزام، محمد إقبال سيرته وفلسفته وشعره، ص 126-127.

⁴ - عبد الوهاب عزام، محمد إقبال سيرته وفلسفته وشعره، ص 127.

ويؤكد إقبال أيضا على إسلامية مرجعيته التي بنى عليها فلسفته حين يقول إنني أدعي أن فلسفة أسرار خودي مأخوذة من آراء صوفية المسلمين وحكمائهم، وأن أبحاث برغسون في الزمان والوقت ليست جديدة عند صوفيتنا... ولو أن مسلما متفلسفا بين المسائل القرآنية في ضوء الأفكار والتجارب الحديثة، ما صح اتهامه بأنه يقدم شرابا جديدا في زجاجة قديمة. أنا لا أعرض أفكارا جديدة في ثياب قديمة ولكنني أبين حقائق قديمة في ضوء الأفكار الجديدة. ما أشد أسفي لجهل الغرب بالإسلام والفلسفة الإسلامية.¹

ج - الروح النقدية البناء للفكر والمعرفة :

لم يكن إقبال مبالغا حين قال : " قد طالعت فلسفة العالم أكثر من عشرين سنة ففي وسعي أن أدلي برأيي بريئا من التعصب وأن أنقد حوادث العالم غير متحيز . " ² فالمطلع على شعره ونثره يجد أدلة واضحة على سعة علمه وقوة ذكائه ودقة ملاحظته وخياله الخصب وعمق تفكيره الفلسفي ورؤيته النقدية الجريئة .

والدارس لكتابه (تجديد التفكير الديني في الإسلام) ، يكتشف إقبال المفكر والعالم والفيلسوف والمتصوف والذي ينقد كل شيء تقريبا، فهو على سبيل المثال ينقد سقراط وأفلاطون والغزالي وابن رشد.³ ويناقش النظريات العلمية والبراهين الفلسفية حول مفاهيم الزمان والمكان والحركة والتغير وغيرها.⁴ ويعرض نظرية لانج lange في الانفعال الوجداني وينقدها، كما يناقش دعاة الآلية ودعاة الحرية حول نشاط النفس ويتحدث عن المدرسة الشكلية

¹ - عبد الوهاب عزام، محمد إقبال سيرته وفلسفته وشعره، ص 129.

² - عبد الوهاب عزام، محمد إقبال سيرته وفلسفته وشعره، ص 128.

³ - محمد إقبال، تجديد التفكير الديني في الإسلام، ص 8 - 9.

⁴ - محمد إقبال، تجديد التفكير الديني في الإسلام، ص 36.

التكامل المعرفي في فهم الإنسان عند الفيلسوف محمد إقبال..... أنيسة زغودود

الألمانية في علم النفس الحديث.¹ ويتحدث عن كتاب spengler اشبنجلر " انحلال الغرب " وينقده.²

لم يكن إقبال مقلدا بل كان يدعو إلى الاجتهاد وبيدع المفاهيم، ولم يكن مفتونا بالحضارة الغربية بل كان بصيرا بحقيقتها، ولهذا وجدناه ينقد التراث ويؤول النص الديني، ويتتبع تطور المعرفة الإنسانية، ويتعاطى مع مقولات الفلاسفة، ويستأنس بخبرات علماء الكون وعلماء النفس والاجتماع والسياسة والاقتصاد وغيرهم. يقول إقبال: " ولقد حاولت...بناء الفلسفة الدينية الإسلامية بناء جديدا، آخذا بعين الاعتبار المأثور من فلسفة الإسلام، إلى جانب ما جرى على المعرفة الإنسانية من تطور في نواحيها المختلفة...على أنه لا ينبغي أن يغيب عن أذهاننا أن التفكير الفلسفي ليس له حد يقف عنده.. وعلى هذا فواجبنا يقتضي أن نرغب في يقظة وعناية تقدم الفكر الإنساني، وأن نقف منه موقف النقد والتمحيص".³

ولم يكن إقبال يقدم الفلسفة على الدين أو العقل على الشرع بل كان يرى أن النظر العقلي في الإيمان ليس معناه التسليم بتعالى الفلسفة على الدين..فالدين ليس أمرا جزئيا، ليس فكرا مجردا فحسب ولا شعورا مجردا ولا عملا مجردا، بل هو تعبير عن الإنسان كله، ولهذا يجب على الفلسفة عند تقديرها للدين أن تعترف بوضعه الأساسي...⁴

¹ - محمد إقبال، تجديد التفكير الديني في الإسلام، ص 120-123.

² - محمد إقبال، تجديد التفكير الديني في الإسلام، ص 164.

³ - محمد إقبال، تجديد التفكير الديني في الإسلام، ص 2-3.

⁴ - محمد إقبال، تجديد التفكير الديني في الإسلام، ص 7.

وكان إقبال يبدع المفاهيم، فشعره حافل بكلمات معينة عربية وفارسية، لم يقصد إلى مدلولها اللغوي، إنما استخدمها كاصطلاحات من وضعه هو مثل علم وعشق، ذكر وفكر، خبر ونظر، وغيرها...¹

ومن بينها اصطلاح خودي الذي هو بمثابة المحور في فكر إقبال. وكان هذا اللفظ يستعمل بالاردوية بمعنى الكبرياء والغرور (الأناية) لكن إقبال أفاض عليه معنى خاصا مغايرا للقديم الذي لم يلبث أن اختفى أمام مزاحمه الجديد.² وخودي تختلف عن المعنى اللاتيني لهذه الكلمة أو المعنى الذي أعطاه لها شوبنهاور مثلا. كما تختلف عن الكلمة الفرنسية moi وتقترب من كلمة self الإنجليزية. وهي الكلمة التي ترجم بها إقبال نفسه هذا المفهوم.³

4- نتائج البحث:

يمكن أن نقول في خلاصة هذا البحث أن إقبال الذي ينتمي إلى مدرسة التجديد الحضاري قدم نظرة شمولية في تحليله لأزمة المسلم المعاصر. فقد وظف الدين والعلم والفلسفة والشعر ونقد الفلسفة الغربية. وحاول أن يحقق التوازن بين المادة والروح من خلال تأكيده على أبعاد الإنسان الجسمية والعقلية والروحية والوجدانية والفردية والاجتماعية.

كما يمكن اعتباره يمثل همزة وصل وتفاعل وانفتاح بين الفلسفة الإسلامية والفلسفة الأوروبية الحديثة. وكانت مناقشته لفلاسفة عصره وعلمائه جهدا مشكورا قلما نجده وهنا تكمن قيمته وأهميته.

ولقد واجه إقبال البريق المزيف للحضارة الغربية حين بين بفلسفته التي أعادت الاعتبار للإنسان أن الدين هو وحده الذي يشعل جذوة الإيمان ويسعد

¹ - ديوان محمد اقبال، سيد عبد الماجد الغوري، ج2، ص 11-12.

² - ديوان محمد اقبال، سيد عبد الماجد الغوري، ج2، ص 13.

³ - ديوان محمد اقبال، سيد عبد الماجد الغوري، ج1، ص 63-64.

التكامل المعرفي في فهم الإنسان عند الفيلسوف محمد إقبال..... أنيسة زغدود

الإنسان. وهنا يجب التعرف على منهجه في مخاطبة العالم الغربي والتفاعل معه للاستفادة منه .

ولكن توجد في شعره ونثره بعض المبالغات والأفكار التي لا تستساغ وقد أشار إليها إجمالاً أبو الحسن الندوي في قوله : " وقد كانت له في محاضراته التي ألقاها في المدارس أفكار فلسفية وتفسيرات للعقيدة الإسلامية لا نوافق عليها...أعتقد أن إقبال شاعر أنطقه الله ببعض الحكم والحقائق...كما أنطق الشعراء والحكماء في عصره وغير عصره... " ¹

¹ - أبو الحسن علي الحسيني الندوي، روائع إقبال، ص 11-12.

المصادر والمراجع :

- 1 - محمد إقبال، تجديد التفكير الديني في الإسلام، نقله إلى العربية عباس محمود، راجعه عبد العزيز المراغي ومهدي فهد، دار آسيا، طبعة جديدة منقحة 1985م.
- 2 - ديوان محمد إقبال، سيد عبد الماجد الغوري، ج1، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع (دمشق - بيروت)، ط 3، 1428هـ - 2007م .
- 3 - ديوان محمد إقبال، سيد عبد الماجد الغوري، ج2، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع (دمشق - بيروت)، ط 3، 1428هـ - 2007م.
- 4 - أبو الحسن علي الحسيني الندوي، روائع إقبال، دار الفكر بدمشق، ط1، 1379هـ - 1960م
- 5 - عبد الوهاب عزام، محمد إقبال سيرته وفلسفته وشعره، مؤسسة هنداوي، القاهرة، 2014 م .
- 6 - حسن حنفي، محمد إقبال فيلسوف الذاتية، دار المدار الإسلامي، ط 1، 2009م .
- 7 - مانويل فايشر، محمد إقبال وعلاقته بالثقافة الغربية، مجلة فكر وفن الصادرة بالعربية مرتين في السنة من ألمانيا بإدارة : آن ماري شيميل وألبرت تآيلا، العدد 32 خاص بإقبال، 1979م، ص 4 Manwel Weischer Iqbal und die Westliche Kultur.
- 8 - اجناس جولد تسيهر، مذاهب التفسير الإسلامي، ترجمة عبد الحلیم النجار، بيروت، دار اقرأ، 1992 م.
- 9 - ويكيبيديا، الموسوعة الحرة.